المرأة والآراء المتعددة حولها

المرأة موضوع البحث الدائم

إن الدراسات عن المرأة ليست بجديدة، والاختلاف حول وضعها سواء في البيت أو المجتمع أو الكنيسة ليس بجديد أيضاً ، فقد كتبت عنها كتب كثيرة كما سيكتب عنها الكثير أيضاً ، سواء في الدول المتحضرة أو الدول النامية ، حيث نسمع صوتين يصرخان ضد بعضهما البعض والمرأة تقف حائرة بينهما . صوت يعاملها كإنسان مساوية للرجل تماماً وصوت آخر يعاملها على أنها أقل من الرجل ... لأنهم لم يعطوا اهتماماً لما يقوله الوحي عنها "ليس جيداً أن يكون آدم وحده ، فأصنع له معيناً نظيره" (تكوين2:18) .

ضرورة الموضوعية في دراسة المرأة

في دراستنا لموضوع مكانة المرأة في الكتاب المقدس ، وتعرضنا لخدمتها ،حقوقها وواجباتها وعملها وغير ذلك ، من السهل علينا أن نتحيز لجانبها ونندفع وراء الرغبة في التطور واقتباس كل جديد . كما من السهل أيضاً علينا أن نتحيز ضدها فنفكر ونحن متأثرون بما ورثناه من تراث اجتماعي من الآباء والأجداد في نظرتهم للمرأة ، فننكر عليها حقوقها من حيث إنسانيتها وخدمتها ودورها القيادي والحضاري وغير ذلك .

لذا علينا أن نكون موضوعيين تماماً في هذه الدراسة وبعيدين عن أي تحيز .

والجدير بالذكر أن موضوع دراستنا عن المرأة في الكتاب المقدس ليس بجديد على التفكير الديني العالمي ، فإن كنائس بل وهيئات كثيرة سبقت ودرست هذا الموضوع ، وعقدت من أجله حلقات بحث كثيرة ، ولم تصل إلى اتفاق نهائي بشأنه ولكن رغم عدم الوصول إلى نتائج محددة ، إلا أن هذا لا يمنع أن يستنير كل باحث بالآراء المتنوعة بهذا الخصوص .

المرأة بجانب الرجل في الكتاب المقدس

لعل البعض يتساءل : لماذا تحتل المرأة نصيب الأسد في الكتاب المقدس ؟ أعتقد أنه ليس سؤالاً جديداً إذ إننا نعلم أهمية المرأة . إن الرجل لا يحتل في التاريخ إلا مكاناً واحداً ، أما

المرأة فإنها تحتل ثلاثة أمكنة . فإنها كائن حي قائم بذاته نظير الرجل . وهي امرأة كما أن الرجل امرؤ . وهي ثانياً صانعة الرجل فهي أمه . ثالثاً هي السند للرجل عندما تضعف قواه .

الرجل والمرأة معاً على الطريق

هذه الدراسة تهدف إلى زيادة الفهم والتعاون بين الرجل والمرأة . ومساعدة المرأة في إدراك أمكانياتها وقدراتها ودورها كتابياً وعلمياً ، لكي تودي رسالتها على أكمل وجه .

كما تهدف أيضاً إلى زيادة الأتحاد والتماسك في المجتمع الذي يتكون من الرجل والمرأة معاً على أسس علمية وكتابية ، فكل منهما يمثل نصف المجتمع وكل منهما يلزمه أن يكمل الآخر .

المرأة مخلوق عجيب على صورة الله

المراة هي ذلك المخلوق العجيب الذي خلقه الله على هذه الصورة من الكمال والروعة والجلال والإبداع ، وهو ما يدل على أنها بحق معجزة من معجزات الخالق جل وعلا . فالمرأة إنسان كامل الإنسانية تمتاز بوجدان عميق وعاطفة قوية ، وان كان البعض يرى في تلك العاطفة ضعفاً إلا ان الحقيقة غير ذلك ، فهذا الذي يراه البعض ضعفاً هو في الحقيقة رقة .

بعيدة هي أعماق المرأة

مازالت المرأة في نظر الكثيرين لغزاً لم يحل بعد بالصورة الكاملة . ولهذا فقد وجد البعض في الحديث عنها مجالاً متسعاً لإظهار ما لديهم من قدرة على البلاغة .

موقع الرجل من المرأة في الحياة

المرأة خلقت من أجل الرجل ، وخلقت لتكون معيناً للرجل ، ولتشاركه حلو الحياة ومرها ، لذا عليها أن تعرف أنها لم تخلق لذاتها بل لتكون المعين لآدم ، وليس مجرد معين لكنها المعين النظير أي يجب أن تكون بجانبه ، فإذا أرادت أن تسبقه أو تتعالى عليه لغيرت مسار الحياة الطبيعي وأضاعت نفسها وأضاعته . لذا على كل امرأة تريد أن تعيش سعيدة في حياتها أن تسير في الطريق الصحيح الذي رسمه الله لها . فالرجل هو رأس المرأة كما أن المرأة هي جسد الرجل ، والرجل مطلوب منه أن يراعي هذا الجسد ويعتني به ، وعليه أيضاً أن يفهم ويعي

جيداً المعنى الصحيح للتعبير "رأس المرأة" أي بمعنى آخر عليه دور القيادة . والقيادة لا تعني السلطة والاستبداد بالمرأة بل هي التوجيه والإرشاد وتحمل مسئولية الأسرة ، فوراء كل امتياز مسئولية . وكما يقول الوحي الإلهي بلسان الرسول بولس "غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا أيضاً هو بالمرأة . ولكن جميع الأشياء هي من الله" (1كو12،11:11)

من أقوال العظماء والمفكرين عن المرأة

أقوال أيجابية

المرأة مخلوق بين الملائكة والبشر (بلزاك)

المرأة الفاضلة ملكة (فيزين)

كل شئ حسن وجميل حولي هو من صنع زوجتي (ركفلر)

المرأة أبهج شئ في الحياة (كونفوشيوس)

المرأة تاج الخليقة (هيردر)

كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة (لامارتين)

أعظم مخلوق هي المرأة إذا عرفت قدر نفسها (جلادستون)

المرأة الجميلة جوهرة ثمينة أما الطيبة فهي كنز عظيم (ساندي)

أقوال سلبية

ما أصعب على المرأة أن تكتم أمراً (شكسبير)

قد يصفح الرجل فينسى أما المرأة فقد تصفح ولكنها لا تنسى (فيليب جرفر)

عقل المرأة مخلوع أبداً من قلبها (بريفو)

لا تقوى المرأة على محو الماضي وإنما تجعل من الحوادث طبقات تقيمها الواحدة فوق الأخرى (دوماس الصغير)

نظرة الشعوب المختلفة للمرأة

عند قدماء المصريين: كان للمرأة مقام ممتاز فكانت تعقد العقود وتقوم بالأعمال التجارية وتنهمك في الأمور السياسية وتتولى المناصب القيادية أمثال كليوباترا ونفرتيتي وحتشبسوت وغيرهن .

عند بعض شعوب الهند القدماء: كانوا يدفنون المرأة حية مع زوجها عند وفاته .

عند بعض شعوب الألمان القدماء: كانوا يقامرون بزوجاتهم عند لعب النرد .

عند بعض شعوب الصين: إذا توفي زوج المرأة تظل أرملة طول حياتها ولا يجوز لها أن تتزوج .

عند قبائل السودان: تطلب الفتاة أن يتصارع الرجل أمامها فتتزوج منهم من كان أقوى بنية وأكثر شجاعة .

عند شعراء الفرس الأقدمين: قال أحدهم إن الله عندما أراد أن يخلق المرأة جمع رقة النسيم وأريج البنفسج ونور الشمس وابتسامة الربيع وخلق منها المرأة.

حقيقة مهمة تحتاج إلى فهم جيد

إن الحقيقة المهمة التي نستنتجها هنا من أقوال المفكرين والعظماء عن المرأة أن النظرة إلى المرأة وأسلوب التعامل معها يختلف باختلاف وجهات نظر الأفراد وتقييمهم لها بحسب ما نشأوا وتربوا وتعلموا عنها ، فما تعلموه وتربوا عليه جزء من شخضياتهم ومعتقداتهم عن المرأة . وليست القضية هنا طبيعة المرأة أو نظرة شخصاً وآخر أو معاملة شعباً وآخر لها .

والدليل على ذلك أننا نجد من يعظمها ويمدحها مدحاً عظيماً ، وهناك من يرى عكس ذلك تماماً في حين أن المرأة كما هي ، طبيعتها كما هي، ونظرة الرجل إليها هي التي تختلف من شخص إلى آخر .

وهذه الحقيقة تقودنا إلى حقيقة آخرى مهمة هي أن الإنسان هو القضية والإنسان هو الحل فعلاج الكثير من المشكلات التي تعانيها المرأة يرجع أساساً لضرورة إصلاح نظرة الرجل إليها .

المرأة والمساواة الكاملة مع الرجل

يتحدث الوحي الإلهي في سفر التكوين عن قصة الخليقة ، فقد خلق الله كل المخلوقات في الأيام الستة الأولى . ووجد الرب أن كل ما صنعه حسن جداً ، وفي اليوم السادس أيضاً خلق الإنسان الذي ميزه عن كل الخلائق الآخرى ، وقال الله "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تكوين 1 : 26 . 28) .

واستحسن الله كل ما خلقه . وهنا نلاحظ أن الوحي يخبرنا بأن الله خلق الإنسان ولم يقل خلق الرجل (بحسب اللغة العبرية) فحديث الوحي هنا عن الإنسان كجنس وليس كفرد واحد سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة ، فالنظرة للإنسان بجنسه في كل الأعمار وكل الأزمان وكل الأماكن .

وقول الوحي الإلهي عن ذلك واضح وصريح . فالرجل إنسان والمرأة إنسان ولا فرق بينهما على الإطلاق من جانب الحقوق أو الواجبات إلا في الناحية البيولوجية ليكملا بعضهما البعض ولمسايرة الخليقة وهنا نلاحظ أن الله يخاطب آدم وحواء في هذا النص الكتابي وهما اثنان فقط بصيغة الجمع ، وذلك يمثل تعبيراً عميقاً عن حضور صورة البشرية كلها في فكر الله ورؤيته للعالم في شخص آدم وحواء . وبهذا يحتسب كل ما قيل لآدم وحواء موجه إلى كل البشرية في كل العصور وإلى منتهى الدهور، أي إلى كل رجل وامرأة في كل الظروف والأحوال . ويمكننا الآن أن نتصور مدى قصور المعنى وانغلاقه لو أن كلام الله جاء لهما بصيغة المثنى ، ثم أليس هذا يدخل في صميم موضوعنا أن التساوي بين الرجل والمرأة خلق فيهما ليظل قائماً دائماً . وفي هذا القول الإلهي وأقوال أخرى واردة في الوحي المقدس نرى المساواة بين الرجل والمرأة من عدة جوانب كما يلي :

1)البركة المتساوية تماماً للذكر والأنثى :

أعطى الله بركة واحدة مقسمة بينهما بالتساوي ينالانها معاً طالما هما في ألفة أو في اتحاد ، والبركة المقصودة هنا هي بركة التوالد والتكاثر حتى يصيرا مالا يحصيهما عد .

2)مسئولية الإنجاب معاً :

إذ يقول لهما الرب (أثمروا) والمقصود بالثمر هنا النسل أو الإنجاب حيث يتحملان هذه المسئولية بالتساوي .

3)مسئولية الكثرة معاً

4)إخضاع قوى الطبيعة معاً :

فمضمون كلمة أخضعوها يشمل بكل وضوح النصرة الأكيدة في صراع الإنسان ضد كل القوى الطبيعية المضادة التي على الأرض .

5)السلطان المعطى بالتساوي للرجل والمرأة معاً :

يتضح أن حقوق كل من الرجل والمرأة تقوم أساساً على التساوي المسبق في سلطان واحد موهوب لهما معاً .

6)في الخليقة المرأة هي المعين النظير للرجل :

عندما خلق الله حواء من ضلع آدم خلقها "معيناً نظيره" (تكوين 2 : 18 ، 20) كلمة نظير تعني الند أو المساوي .

ومن المهم أن نفهم جيداً المقصود بالكلمة معين ، فالمعين هو الشخص الذي يساعد المحتاج للمعونة .

وما يجب أن نعي له ونفهمه جيداً هو أن آدم الأول الذي توفرت له كل مطالب الحياة وتمتع بنعيم جنة الله وامتلك السلطان المطلق على الخليقة ، نرى أنه . من العجب العجاب . أن آدم أحس في نفسه بأنه في احتياج إلى وجود أنيس يؤنس وحدته . ودليلنا على ذلك قصة الخلق التي تقول تلك الكلمات الصادقة : (وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره) .

7)في الخليقة الجديدة الجميع واحد في المسيح :

في الخليقة الجديدة بعمل نعمة المسيح في حياة المؤمنين ألغى الرب كل تمايز بين الرجل والمرأة ولذلك شدد الرسول بولس على أن في المسيح لا فرق إذ يقول "ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع" (غلاطية 28:3). وهنا لا يقول :"رجل وامرأة ، بل ذكر وأنثى قاصداً في ذلك إلغاء الأسباب التي فرقت بين الرجل والمرأة بسبب الجنس .

8)حلول الروح القدس على الرجال والنساء معاً :

عندما حل الروح القدس يوم الخمسين ومنح مواهب كثيرة للخدمة لم يحل على الرجال فقط لكنه حل على المتعبدين من الرجال والنساء (أعمال 14:1) . وقد اشترك الرجال والنساء معاً في الصلاة والشركة وكسر الخبز (اعمال 2: 42) .

9)عقيدة كهنوت جميع المؤمنين تؤيد التساوي المطلق بين الرجل والمرأة :

الرسول بطرس يوضح ضمن أقواله في الرسالة الأولى أن جميع المؤمنين وهم الرجال والنساء معاً يقول لهم :"وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب الذين قبلاً لم تكونوا شعباً وإما الأن فانتم شعب الله الذين كنتم غير مرحومين وأما الأن فمرحومون" (1بطرس 2 : 9 ، 10) .

وعقيدة كهنوت جميع المؤمنين تعطي أحقية لكل مؤمن في الاقتراب إلى الله مباشرة (عبرانيين 4 : 14 . 16) . وتقديم الذبائح الروحية إلى الله مباشرة (رؤيا 1:12) . كما أن هذه العقيدة تعطي أحقية الوعظ بالكلمة لجميع المؤمنين . وأيضاً ممارسة الفرائض المقدسة معاً (متى 19:28) .

المرأة عبر رحلة التاريخ الإنساني

أولاً : المرأة في عصور ما قبل التاريخ

في ذلك الوقت لم تكن هناك أنظمة اجتماعية تضبط العادات ، ولا قوانين تنظم العلاقات الزوجية . فكان الرجل له سيدات وجاريات ينجب منهن أولاداً . وكانت الفتاة تتزوج بأخيها . وفي هذه

العصور البدائية كانت للمرأة مكانتها في العبادة ونشأ النظام الأمومي في إطار النظام الاجتماعي .

والنظام الأمومي هو نظام اجتماعي كانت فيه السلطة العليا للأمهات وكان النسب وتسلسل الجيال يرجع إلى الأم . وكان الابن يسمى باسم أمه .

أن المرأة كانت كزوجة تحتل موقعاً متميزاً في الأسرة يعطي لها الأولوية في السيطرة داخل الأسرة . وذلك لأن الزوج كان يقضي معظم وقته خارج المنزل في الصيد وجمع الثمار بينما كانت الزوجة أو الأم تقوم بالأعمال المنزلية . وصناعة الأدوات المنزلية . ورعاية الطفال . وبالتالي كانت أكثر احتكاكاً بالأطفال . الذين كانوا قلما يجتمعون بالأب . ولذلك كانت العلاقة ضعيفة بين الأب والأبناء .

ولكن بعد ذلك نشأ الصراع بين الرجل والمرأة فنشأ النظام الاجتماعي الأبوي ، والنظام الأبوي هو نظام اجتماعي يتميز بسلطة الأب المطلقة على العائلة أو العشيرة . وينتسب فيه الأبناء إلى الأب وليس إلى الأم . وكان الأب هو رب العائلة وإله البيت والكاهن الذي يقدم الذبائح نيابة عن أفراد العائلة . في هذه الظروف وفي ظل هذه الأنظمة كانت المرأة تحت سلطان الرجل مع أنها كانت تشارك في كل نواحي الحياة.

ويضيف أيضاً د.ق صموئيل حبيب في كتابه "المرأة في الكنيسة والمجتمع" عن تاريخ المرأة في هذه الحقبة الزمنية :"كانت المرأة تعمل في الزراعة عندما كان الرجال يذهبون للصيد ، وكان الرجل مع المرأة يذهبان للعمل . يظن أن المرأة أول من مارس العمل الحرفي : كالغزل والنسيج ، وصنع الآنية الفخارية ، بل هناك من يذهب إلى القول بأن هذه الحرف في الأصل اكتشافات نسائية .

ويقول الدكتور القس فهيم عزيز عن تاريخ المرأة في الشرق الأدنى القديم أستطاع الدارسون من المخطوطات القديمة والنقوش والتماثيل أن يكونوا فكرة واسعة عن المرأة في الشرق الأدنى القديم . وقد استطاعوا أن يعرفوا أن هذا الشرق كانت تسوده عادات متقاربة جداً أن لم تكن متطابقة رغم الاختلاف الجغرافي والحضاري بين مصر وما بين النهرين وآسيا الصغرى ، ولهذا فيمكن

دراسة هذه العادات دفعة واحدة دون التقيد ببلد واحد أو جماعة واحدة . ولقد استطاع هؤلاء الدارسون أن يستخلصوا مركز المرأة ودورها : في المنزل وفي المجتمع .

أما عن المرأة في المنزل ، عندما كانت الفتاة تبلغ سناً معيناً كان لابد لها أن تتزوج وكان أبوها (أو أمها أو أخوها الأكبر أن لم يكن الأب موجوداً) هو الذي يقوم بكل الترتيبات لهذا الزواج . وتوضح أغاني المحبة التي تركها القدماء أن الفتاة كانت تتمتع ببعض الحرية في اختيار شريك حياتها . وكان العريس يقدم هدايا للوالدين أما الوالد فكان يقدم لابنته "دوطه" (مستند) تؤول إلى ورثتها بعد حياتها .

ومن المفروض أن تعتني الزوجة بزوجها فتساعده في حقله إن احتاج إلى ذلك ، تجهز له الطعام وكل ما يحتاج إليه ، تنجب له الأبناء وخصوصاً الذكور منهم ، تغزل وتنسج وتطحن الحبوب . أما في الأوساط الراقية فكانت المرأة تشارك زوجها في الألعاب الرياضية والولائم وغير ذلك .

وكان الزواج الأصيل هو الزواج بواحدة وليس تعدد الزوجات ، ولكن كان للرجل أن يأخذ سراري أما في بابل فكان يمكن للرجل أن يتزوج امرأة آخرى إذا كانت زوجته الأولى لا تنجب . وكان زواج الأخ لأخته معروفاً مثل إيزيس وأوزوريس . وزواج الأخ بأرملة أخيه المتوفي الذي لم ينجب أولاداً كان معروفاً أيضاً عند الحيثيين والأشوريين وغيرهم . وكأم كانت المرأة تكرم كثيراً جداً ، وعندما كانت تكبر أو يموت زوجها كان أولادها يعتنون بها كثيراً ويكرمونها أشد الإكرام .

أما عن المرأة في المجتمع : في العالم الشرقي القديم ظهر دور المرأة في نواحي اجتماعية متعددة . ممثلاً في دعم الاقتصاد الأسري . فكان من حق المرأة خصوصاً من الطبقات الغنية والشريفة أن تقتني الممتلكات وتبيع وتشتري باسمها .

وعن حقوق المرأة القانونية : كان القانون يعتبر المرأة أقل من الرجل ، لكن النساء القانونيات أو العاملات في الشريعة كانت لهن حقوقهن القانونية مثل الرجل تماماً كالشهادة في المحاكم مثلاً .

ولم يكن سهلاً على الرجل أن يطلق زوجته إذا لم يكن فيها عيب يشينها وإذا صمم على هذا الطلاق فكان عليه أن يدفع لها ثمناً غالياً لذلك . بل تطور الأمر إلى أن المرأة التي يشهد مجلس المدينة باستقامتها يمكن أن تطلق زوجها العاق أو الذي يتغيب عنها مدة طويلة . وكانت الأرملة من البيوت الغنية يعولها أولادها أما الأرامل الفقيرات كن مسؤولات من الملك الطيب لذلك فكانت الهياكل تنفق عليهن وعلى احتياجاتهن .

وعقوبة الاغتصاب للمرأة المتزوجة أو المخطوبة القتل للرجل . وكان دائماً يعتبر مذنباً ، أما في حالة الزنى فكانت المرأة تعتبر مذنبة دائماً وقد تقتل .

ثانياً : المرأة في العصر الفرعوني 300 . 332 ق . م

اتسمت هذه الفترة بمشاركة المرأة للرجل في الصناعة والزراعة والصيد، وفي الحياة الاجتماعية والمجالس واللقاءات الهامة، وكانت لها حقوق مساوية للرجل.

وكانت للمرأة مكانتها في العصر الفرعوني فكانت (عمدة ـ ملكة ـ إله ـ كاهن)ولها حق الميراث والعمل والملكية والتعاقد باسمها والزواج بمن تريد وكان الرجل يحترم زوجته كشريك له. ورغم هذه المكانة التي تمتعت بها المرأة فقد حدث تحول وذلك في عصر (حمورابي) 1792ق.م فقد كانت المرأة راضية أن تكون أقل وخاضعة. كان ذلك بتأثير من الأمم الوثنية في الشرق وخاصة (البابليين والأشوريين) الذين كان من عاداتهم أأن المرأة التي تخرج إلى الشارع يجب أن تغطي رأسها لأن المرأة التي بدون غطاء رأس تعتبر زانية وعار لزوجها.

كان تعدد الزوجات نادر الحدوث، وكان الطلاق من الأمور المرذولة في الأسرة الخامسة الفرعونية. طرأ تعديل، حيث أبيح تعدد الزوجات، وبدأ خضوع المرأة لأكبر أبنائها الذكور.

وفي العصر الفرعوني لبست المرأة القلائد والأساور والخلاخيل والأقراط وتجملت بالكحل، واستخدمت الدهون والعطور، ولبست الباروكة تعلمت القراءة وتذوقت الأدب، اشتركت في القضاء وشئون الوزارة. وكان لها حق طلب الطلاق إن أساء زوجها معاملتها.

ثالثاً: المرأة في العصر اليوناني (332ــ 31ق.م)

اعتبر اليونانيون أنفسهم طبقة أرقى من الآخرين، ونظروا إلى المرأة على أنها في وضع منخفض، اعتبر اليوناني أن المرأة هي خادمة البيت وعملها هو المطبخ. وبالتالي فقد خضعت المرأة للسلطان المطلق للرجل.

رابعاً: المرأة في العصر الروماني (بين القرن الأول والسابع الميلادي)

اعتبر الرومان المرأة كالطفل أو كخادمة. ولكن قلة من السيدات الرومانيات كان لهن شأن كبير.

اعتبرت المرأة مسئوليتها البيت فانفصلت عن الرجال، وكانت خارج البيت تحت الغطاء وكانت الفتاة تحت سيطرة الأب. ومنه إلى سيطرة الزوج. ولم يكن هناك اهتمام بتعليم البنات، ولكن يكفي تدريبهن على أعمال المنزل.

خامساً: المرأة في العهد القديم

لابد أن نميز بين أمرين:

الأمر الأول: المرأة على أرض الواقع أي المرأة حسب الحضارات السائدة.

الأمر الثاني: هو المرأة في نظر الله أو المرأة حسب رؤية الله لها منذ البدء أو منذ الخليقة.

فهناك فارق كبير جداً بين النظرتين للمرأة. وهذا هو الخلط الجسيم الذي يقع فيه كثير من الكتاب حيث لا يميزون في دراستهم للنصوص الكتابية بين المرأة في الحضارة السائدة، وبين المرأة في نظر الله منذ البدء. ويتضح هذا الأمر بصورة جلية من خلال إجابة المسيح على سؤال الفريسيين عندما أرادوا أن يجربوه قائلين:"هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟" (متى3:19) لكنه أجاب قائلاً "أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟" (متى4:19).

في القوانين والشرائع:

أن الشريعة لا تخاطب المرأة بتاتاً ولكنها تخاطب الرجل. حتى عند وصية الله لآدم أعطيت له الوصية وحده، ولم تكن حواء معه لأنها لم تكن قد خلقت بعد، وبعد أن خلقت لم تكرر هذه الوصية وإلى جانب ذلك فأن هناك بعض القوانين التي تظهر قيمة المرأة.

المرأة في نظر الله منذ البدء:

العهد القديم يكشف شيئاً لم يختبره الناس في الواقع في تلك الأيام لأن التقاليد والشريعة لم يكونا الأصل الذي قصده الله بل كانا الشيء الطارئ وهنا نستطيع أن نلمس المعنى الذي قصده السيد عندما رد على المتسائلين على حكمة "كتاب الطلاق" الذي أمر به موسى في الناموس إذ قال:"أن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم" (متى8:19).

المرأة في عهد المسيح:

انضمت المرأة إلى تلاميذ السيد وإلى الجماعة التي كانت تسير معه، أن وجود النسوة في زمرة يسوع بمثل حالة الحرية السامية التي لا يعقدها الفكر الشرير الخاطئ إذ مع يسوع لا فرق بين ذكر وأنثى فالكل واحد في سموه الروحي.

لقد ساعد يسوع المحتاجات من النساء بطريقة مجيدة تماماً كما فعل مع الرجال، ولم نسمع منه كلمة واحدة تحط من قيمة المرأة ولا من عملها بل بالعكس فأنه في أمثاله وقصصه كان يمجد رسالة المرأة وعملها اليومي، ويتخذها مثلاً في عملها، لقد رفع يسوع قدر المرأة وأرجع في موقفه تجاهها الحالة التي عليها إلى سمو ما قصد الله من البدء. وليس في حالة الخطيئة التي ظهرت في العهد القديم وفي الناموس وفي اليهودية.

المرأة في زمن الكنيسة الأولى:

منذ الابتداء كان للمرأة شأن كبير في الجماعة فبعد صعود السيد يقول لوقا البشير في سفر الأعمال أن التلاميذ ذهبوا إلى العلية التي كان يقيم فيها التلاميذ وكان:"هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته" (أعمال1: 13،14) أي أن النساء كان لهن ملاكز مرموق في الكنيسة الأولى.

عندما يذكر سفر الأعمال سفيرة امرأة حنانيا فأنه يذكرها كشريكة ومتساوية مع زوجها في الانحراف تماماً كما يذكر بريسكلا كشريكة ومتساوية مع زوجها في الخدمة المسيحية المثمرة.

المرأة في زمن الرسول بولس:

وهنا أحاول أن أغطي هذا الجانب من خلال كتابات بولس. فأهم ما يظهر في كتابات بولس ذلك التوتر والشد والجذب بين الموقف المسيحي كما يتمثل في موقف السيد، وبين الواقع العالمي

الذي يتمثل في العادات والتقاليد في المجتمع، والواقع الديني الذي يتمثل في الناموس، وقد كان الرسول بولس الرجل المسيحي الذي عرف موقف سيده وهو نفسه الذي يفتح عينيه على ذلك الواقع وقد يصعب عليه أحياناً أن يتجاهله. فما هو موقف الرسول بولس؟

ـ أعلن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الكنيسة الأممية.

ـ أعلن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في القيادة المسيحية.

ـ أعلن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في العبادة المسيحية.

المرأة ومكانتها المتميزة في الكتاب المقدس

المرأة نبية

عندما نتأمل في الكتاب المقدس بعهديه نجد عدداً من الشخصيات النسائية أعطاها الرب الشرف أن تقوم بهذه الخدمة العظيمة.

مريم النبية: وهي الشخصية التي يتحدث عنها الوحي الإلهي في سفر الخروج قائلاً: فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف الذي بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف والرقص. وأجابتهم مريم رنموا للرب فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر" خروج15: 20ـ21

دبورة النبية: وهي التي يخبرنا عنها الوحي في سفر القضاة قائلاً:"دبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم. وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء" (قضاة4: 4،5).

حنة أم صموئيل النبية: لقد كانت نبية ذات موهبة فذة كما يبدو ذلك في أنشودتها الرائعة التي ترنمت بها تعظيماً للرب على عطيته والتي يتردد صداها في ترنيمة العذراء مريم (لوقا1: 46ـ50).

خلدة النبية: كانت نبية تعيش في القسم الثاني من أورشليم وعندما وجد حلقيا الكاهن العظيم سفر الشريعة في الهيكل أعطاه لشافان الكاتب الذي قدمه للملك يوشيا فلما سمع الملك كلام الشريعة

مزق ثيابه وأمر حلقيا الكاهن وشافان الكاتب وآخرين بالذهاب إلى خلدة النبية لتسأل الرب، فتنبأت بالشر الذي سيجلبه الرب على أورشليم وسكانها لأنهم تركوا الرب وأوقدوا لآلهة آخرى.

حنة بنت فنوئيل النبية: وهي التي يتكلم عنها الوحي بلسان البشير لوقا في قوله عنها "وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة..." (لوقا2:36).

بنات فيلبس الأربع النبيات: يقول البشير لوقا كاتب سفر أعمال الرسل عن بنات فيلبس:"وكان لهذا أربع عذارى كن نبيات" أعمال21:2 وكونهن عذارى فهذا علة وجودهن في بيت أبيهن، ولو كن متزوجات لكن في بيوت رجالهن فلا علاقة بين كونهن عذارى وكونهن نبيات.

المرأة قاضية

دبورة القاضية: كانت تجلس تحت نخلة وينتقل إليها المتنازعون من كل مكان للفصل بينهم فيما استعصى عليهم حله من خصومة أو خلاف أو نزاع. ولا يمكن أن يذهب الرجال المتخاصمون إلى امرأة إلا لثقتهم أن حكمتها فاقت جميع الرجال الموجودين في جيلها وعصرها.

المرأة ملكة

أمثلة للملكة الزوجة

الملكة وشتي زوجة الملك أحشويروش: هي ملكة فارس طلقها أحشويروش ونزع عنها تاج الملك لأنها رفضت أمره وأبت أن تمثل، والتاج على رأسها، أمام ضيوفه في الوليمة التي أقامها في السنة الثالثة من ملكه ليشاهد الحاضرون حسنها وجمالها (أستير1:11، 1:12).

أستير الزوجة اليهودية للملك أحشويروش: نستطيع أن نرى في حكمتها وتواضعها وولائها أنها قد فاقت الكثيرين من الرجال. ونحن نلقي الضوء على بعض جوانب شخصيتها نرى فيها مايلي:

قوة الجمال، التواضع والهدوء، الإيمان الحقيقي، وطنية عظيمة.

أمثلة للملكة الأم

الملكة بثشبع أم الملك سليمان: وقد نجحت بثشبع بمعاونة النبي ناثان في منع أدونيا من اغتصاب عرش أبيه، وضمنت العرش لابنها سليمان (1ملوك1: 11ـ46).

الملكة يكليا أم عزريا (عزيا) أبن أمصيا: ويكليا اسم عبري معناه "قدر يهوه" وهي أم عزريا أو عزيا ملك يهوذا" 2ملوك2:15، 2أخبار3:36.

الملكة حفصيبة أم منسى: اسم عبري معناه (مسرتي بها) وهو اسم زوجة الملك حزقيا وابنها منسى 2ملوك2:21.

الملكة يديدة بنت عداية أم يوشيا: اسم عبري معناه "محبوبة" وهي زوجة أمون وأم يوشيا" 2ملوك1:22.

المرأة قائدة أمام الرجال

لقد شرف الرب المرأة أن يكون لها دور قيادي بجانب الرجل في خدمة الرب ليس فقط في دور نبوي أو وعظي أو مجال ترانيم أو غير ذلك لكن يتضح أن لها دوراً قيادياً واضحاً متميزاً في مجالات عديدة للخدمة وقد يتساءل البعض هل من حق المرأة أن تأخذ المراكز القيادية منفردة أو مشاركة الرجل في كل ميدان؟ هل يشجع الفكر المسيحي مثل هذا الاتجاه؟ فأيا كانت الأفكار المختلفة والمتباينة في الإجابة على هذا السؤال فمما لا شك فيه أن هناك ظاهرة تستدعي الالتفات أنه بدراسة الوحي والتاريخ المقدس نجد الكثير من الشخصيات غير العادية من النساء كن يظهرن في وقت الأزمات والشدائد.

مريم أخت موسى وهارون: ونحن هنا نذكر نظرتنا للدور القيادي لهذه المرأة وسط القادة الرجال، فهي المرأة التي خاطب الله الشعب الإسرائيلي عن طريقها وقال لهم"أرسلت أمامك موسى وهارون ومريم" ميخا6: 3ـ4 فهي لم تكن في مؤخرة الشعب أو في وسط الشعب، لكنها كانت أمام الشعب في موقع القيادة.

دبورة القائدة: هي المرأة القديرة التي دعت باراق الرجل بن أبينوعم ليقود المعركة لكنه تراجع واشترط أن تأتي دبورة في المقدمة إلى جواره حتى يصل إلى النصر. والدور الديني الذي قامت به هذه الشخصية يكشف لنا جانباً هاماً في شخصية المرأة كثيراً ما يخطىء في فهمه الرجل. فليس من السهل على إنسان أن يتصور امرأة تقود أو تدفع جيشاً إلى القتال وإن سارت إلى ميدان القتال فلكي تعمل على إيقاف نزيف الدم المنهمر بين المحاربين في أعمال الإغاثة والإسعاف والتمريض. إلا أن الذي يعنينا الآن في هذه المرأة مقدار ما كانت عليه من صلابة

وشجاعة تستسهل معها الحرب وقعقعة السلاح. فقد كانت على قدر كبير من قدرة الفكر والتهاب العاطفة وجبروت الإرادة وتكامل الشخصية غير العادية التي هي نادرة الوجود.

المرأة تلميذة ليسوع

أن التلميذ هو كل إنسان مؤمن يعترف بيسوع المسيح رباً ومخلصاً لهو، هو الذي يجلس عند قدميه يتعلم من كلمات الحكمة الخارجة من فمه وهناك مواقف كثيرة في الكتاب المقدس نجد فيها المرأة جالسة عند قدمي يسوع تتعلم منه.

ومن خلال دراستنا بدقة لمعجزة الإشباع الأولى بخمس خبزات وسمكتين، يقول الوحي عن الجموع التي أكلت "والآكلين كانوا نحو خمسة ألاف رجل ماعدا النساء والأولاد" متى21:14 معنى هذا الكلام أن الجموع التي التفت حول يسوع لم تكن فقط من الرجال لكن من النساء أيضاً وهذه الجموع كما يتضح من بشارة القديس يوحنا كانت تتبع يسوع وتتعلم منه وصنع معها الكثير من المعجزات وذلك قبل حدوث معجزة الإشباع.

المرأة والتعليم في الكنيسة

في العهد الجديد، وبمجيء المسيح إلى عالمنا أصبح جميع المؤمنين أعضاء في جسد المسيح وأصبحوا ملوكاً وكهنة لله الآب أمة مقدسة شعب اقتناء. هذا المقام لم يكن قاصراً على الذكور فقط بل يشمل جميع المؤمنين وهو تحقيق لوعد الله إذ سكب روحه على كل بشر ليتنبأ البنون والبنات والعبيد والإماء ويرى الشباب رؤى ويحلم الشيوخ أحلاماً.

ومن أهم هذه العطايا أو هذه المواهب موهبة التعليم في الكنيسة ترى هل يجوز للمرأة أن تعلم في الكنيسة أم لا؟

لا يوجد أي مانع يمنعها على الإطلاق من التعليم للأسباب الآتية:

من خلال مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات في كل شيء بما فيها العبادة والخدمة في عمل الرب.

أعطى الرب للمرأة شرف القيام بخدمة النبوة في العهد الجديد والعهد القديم.

عقبات أمام دور المرأة التعليمي

إذ كان الأمر هكذا ويجوز للمرأة أن تقوم بدور تعليمي في الكنيسة فما هو موقفنا من أقوال الرسول بولس الواردة في رسالتي كورنثوس الأولى وتيموثاوس الأولى والتي يقول فيها "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة" 1كو14: 34ـ35 وقوله "لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت" 1تيموثاوس2:11ألم يمنع الرسول بولس المرأة أن تعلم في الكنيسة في أقواله السابقة هذه؟ وللإجابة على هذا السؤال يعطينا المفسر اللاهوتي وليم باركلي استنارة كافية للقول الوارد في 1تيموثاوس2:11 إذ يوضح لنا لماذا كتب الرسولبولس هذه النصوص كما يوضح لنا أنها أعطيت لظروف خاصة ولمجتمعات خاصة وليست كمبادىء عامة للكنيسة في كل مراحلها بعد ذلك.

المرأة ورسامتها للخدمة في الكنيسة

شماساً ـ شيخاً ـ قساً

أولاً: مكانة المرأة في المسيح يسوع: المرأة إنسان مساو للرجل تماماً في كل الحقوق والواجبات ففي الخليقة الجسدية خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى دون أي تميز بينهما، فالمرأة عضو في جسد المسيح كالرجل تماماً."فقبلوا بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس" أع2:41

ثانياً: المفهوم الكتابي الصحيح للرسامة: بغض النظر عن الرسامة أنها تتم للرجل أو المرأة وبغض النظر عن الرسامة إنها ستتم في أي كنيسة وتكون تابعة أي مذهب أو طائفة. أرى أن مشاكل كثيرة تحدث بسبب الفهم الخاطىء لما يقوله الكتاب المقدس عن الرسامة لذلك أرى أن هناك أولوية لمعرفة الفهم الكتابي الصحيح للرسامة بنوع من التبسيط والوضوح.

ـ الرسامة هي مجرد نوع من الفرز والتخصيص وإعطاء صفة الرسمية وتحديد المسئوليات للشخص المستهدف رسامته لخدمة فعالة وناجحة.

ـ الرسامة كتابياً لا تعني تسليم الخلافة الرسولية، والسلطان المرفق معها من شخص إلى آخر.

ـ الرسامة التي تتم هي رسامة لوظائف شماس أو شيخ أو قس وليست رسامة كاهن بحسب ما أنارنا الكتاب المقدس سابقاً في (1بطرس2:9، رؤيا5: 9،10).

ـ الرسامة هي وسيلة وليست غاية، الرسامة تتم بصلاة التكريس ووضع اليد.

ثالثاً: أحقية المرأة في رسامتها شماساً أو شيخاً أو قساً: الكتاب المقدس يؤكد على أحقية المرأة في الرسامة من خلال مايلي:

حق حلول الروح القدس على الرجال والنساء معاً بدون أي تمييز، حق النداء الإلهي للخدمة للرجال والنساء معاً دون أي تمييز، حق العطية الإلهية للمواهب والوظائف الكنسية للرجال والنساء معاً دون أي تمييز، حق الولادة الروحية ومكانة المرأة في المسيح يسوع دون أي تمييز.

رابعاً: دواعي رسامة المرأة للخدمة في الكنيسة: رسامة المرأة لأنها الأكثر فهماً ووعياً لقضايا المرأة، رسامة المرأة لأنها نصف جسد المسيح، رسامة المرأة تعطيها صفة الرسمية وأمام كم المشكلات الأسرية الذي أصبح بلا حدود اليوم.

خامسا: بعض الاعتراضات على رسامة المرأة والرد عليها:

لماذا يعترض البعض على رسامة المرأة شماساً أو شيخاً أو قساً؟ التمسك ببعض النصوص الكتابية وتفسيرها بطريقة حرفية جامدة دون مراعاة للقرينة التي ورد بها النص أو الزمن الذي ذكر فيه أو الظروف المحيطة التي ذكر لأجلها.

يرى المعترضون أن الظروف الاجتماعية غير مناسبة: يقول البعض أنه لا مانع من رسامة المرأة شماساً أو شيخاً أو قساً كتابياً أو لاهوتياً لكنهم يرون أن الظروف الاجتماعية لا تسمح. لأن أفكار بعض الناس رجعية ومتخلفة وتوجه النقد للكنيسة. بمعنى أن رؤية الكنيسة ورسالتها يجب أن تتوقف على أقوال وانتقادات وأفكار الناس الرجعية.

المرأة وشريعة الزوجة الواحدة

النظام الإلهي منذ البدء يؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: فالسيد المسيح عندما أتى إليه الكتبة والفريسيون ليجربوه ويوقعوه في فخ الطلاق سألوه:"فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق

فتُطلق؟" متى7:19 قال لهم:"إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لك يكن هكذا" متى8:19.

قصة الزواج الأول تؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: بعد أن استعرض آدم الخلائق فوجدها في صورة زوجين ذكراً وأنثى. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيرة تكوين20:2 وقال الرب الإله:"ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره" وبعد أن أدرك آدم حاجته إلى معين نظيره خلق له حواء. وحواء فقط ولم يخلق غيرها. وقد كان العالم متسعاً يتسع أن يصنع الله لآدم أكثر من حواء واحدة ليعمر الدنيا الواسعة إلا أن الله جلت حكمته أعد لآدم زوجة واحدة فقط هي أمنا حواء.

الربط بين الزوجين يؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: حيث يقول النص:"لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته، ويكونان جسداً واحداً" فالفعل يلتصق فيه صورة معنوية وتعبير عن الأمانة والوفاء والعواطف المشتركة.

الجسد الواحد يؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: ورد أيضاً التعبير "جسد واحد" تكوين24:2 والوحدة هنا هي وحدة الفكر والرأي والهدف وكونه جسداً واحداً وليس أجساد متعددة فهذا يعني أنه لا يقبل الزيادة بأكثر من زوج أو زوجة أو لا يقبل النقصان بانفصال الواحد عن الآخر لأن الانفصال يمزق الجسد الواحد.

شرائع العهد القديم تؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: الكثير من شرائع العهد القديم تؤكد على الارتباط بزوجة واحدة والأمثلة على ذلك كثيرة منها قول الوحي"لا تشته امرأة قريبك" خر17:20.

بعض وصايا الحياة السعيدة تؤكد على الزوجة الواحدة: فمثلاً ما ورد في سفر الأمثال لا يشير مطلقاً لتعدد الزوجات بل بالأحرى يفترض الزوجة الواحدة: المرأة الفاضلة تاج لبعلها (أي زوجها) أما المخزية فكنخر في عظامه" (أمثال4:12).

قيمة وكرامة المرأة تؤكد على شريعة الزوجة الواحدة: إن الزواج المسيحي بامرأة واحدة مدى الحياة هو الشكل الملائم للعلاقات بين الجنسين لتحقيق لبقيمة الحقيقية للمرأة، لقد كان العالم يعتبر المرأة وسيلة لتحقيق غاية الرجل ومتعته وكانت معاملة المرأة على هذا الأساس لا تسمح لها بحرية تقرير مصيرها. كان الرجل هو السيد وله الحق أن يستمتع بالعلاقة مع عدد من النساء

حسب أهوائه ولإشباع لذته، لكن مثالية الزواج المسيحي تعطي للمرأة كرامتها وتحقق المساواة بين الجنسين.

الله يجدد للبشرية شريعة الزوجة الواحدة أيام نوح: بعد زيغان الإنسان وتماديه في الشر وكسر وصايا الله وشرائعه وتزوجه بأكثر من زوجة طهر الله الأرض من كل نجاسة وعبث عن طريق الطوفان وأرجع الله شريعة الزوجة الواحدة مرة أخرى حيث يسجل لنا الوحي في سفر التكوين في قصة الطوفان قول الله لنوح عند دخول الفلك:"ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك" تكوين18:6.

فإن كان الله قد وضع هذه الشريعة حتى للحيوان الأعجم الذي لم يصل إلى سمو الإنسان فكم بالأولى تكون الشريعة المعطاة للإنسان؟!

لماذا كان هناك تعدد زوجات لأناس قديسين في العهد القديم؟

نلاحظ عدة اعتبارات:

ـ الخوف من انقطاع النسل: كان هناك خوف شديد من انقطاع النسل.

ـ كل حالة ينظر لها في ضوء ظروفها الشخصية: وليس تطبيقاً للمبدأ العام الذي سنه الله من بداية الخليقة. فعندما نتناول ظروف إبراهيم ونتساءل لماذا تزوج بأكثر من زوجة نجد أبراهيم لم يفعل ذلك نتيجة شهوة جسدية فهو كان قد شاخ وتجاوز الثمانين من عمره دون أن يتخذ لنفسه امرأة أخرى غير سارة زوجته الوحيدة العاقر إلى أن أعطته هي أمتها هاجر قائلة له "هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين" فسمع أبرام لقول ساراي تك2:16 وكان قد بلغ ستاً وثمانين سنة حين ولدت له هاجر ابناً تكوين16:16.

الأمل في تحقيق الوعد المبارك داخل كل الأسر: كان الوعد المتكرر أنه من هذا النسل ستتبارك الأرض ومنه يخرج المسيح فقد كان مجئ المسيح المسيا هو أمل كل فرد من أفراد الشعب، وهكذا كانت قلوب جميع أبناء إبراهيم معلقة بالمسيا ومجيئه.

اعتبار عدم الانجاب عاراً: فراحيل زوجة يعقوب لما كانت عاقراً قالت ليعقوب:"هب لب بنين، وألا فأنا أموت" تكوين1:30 ولما فتح الله رحمها فولدت قالت:"قد نزع الله عاري" تكوين23:30.

العهد الجديد وتأكيده على شريعة الزوجة الواحدة: قبل المسيح كانت المرأة في حكم العدم، لأنها كانت صفراً عن يسار المجتمع، ولعلها كانت أقل من الصفر، لأن الصفر لا ينفع ولا يضر لكن المرأة كانت في نظر الرومان شراً منمقاً ومصيبة، فكأنها لم تكن عدما وكفى بل كانت عالة، ورذيلة وشراً مستطيراً.

بولس الرسول وتأكيده على شريعة الزوجة الواحدة: يؤكد بولس في رسائله المختلفة على شريعة الزوجة الواحدة ونذكر له بعض الأقوال وبعض الآيات الكتابية على سبيل المثال لا الحصر:

أكد في حديثه لأهل كورنثوس:"يكون الأثنان جسداً واحداً"1كورنثوس16:6.

علاقة المسيح الروحية بالكنيسة:"لأني خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" 2كو2:11.

علاقة الحب والهيبة بين الرجل وزوجته إذ يقول:"وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها" أفسس33:5.

المرأة المسيحية وقضاياها المتعددة

القضية الأولى: الاعتقاد برئاسة الرجل للمرأة:

المشكلة في مفاهيمنا نحن البسيطة وإلى نظرتنا السطحية التي تحتاج أن تكون صحيحة وعميقة أكثر لما كان يقصده الرسول بولس بهذا القول. ولكي نفهم هذه الأقوال فهماً جيداً وصحيحاً فأن الأمر يتطلب منا مراعاة الملاحظات الهامة التالية وهي:

بولس الرسول يقول"الرجل رأس المرأة" ولم يقل "الرجل رئيس للمرأة" وبالطبع هناك فارق كبير جداً فالرئاسة تعني التسلط والتمييز لكن كلمة رأس تعني قاعدة التفكير والتنفيذ في الجسم.

كلمة رأس تعني الأصل والمصدر: المصدر أي الأقدم ثم التالي له زمنياً أو تاريخياً.

الله رأس المسيح وكل منهما مساوٍ للآخر: أي أن الأقنوم الأول رأس الأقنوم الثاني في الثالوث ونحن نؤمن أن الأقانيم الثلاثة متساوية في الجوهر.

الأقدمية الزمنية لا تعني التمييز أو الأفضلية: الأقدمية الزمنية أو التاريخية في الخلق لا تعني التمييز أو الأفضلية أو الرئاسة على الإطلاق.

القضية تخص مجتمعي كورنثوس وأفسس فقط: هناك قضايا مرتبطة بحضارة المكان والزمان فالقضايا التي تخص المرأة في أثينا باليونان مثلاً لا يمكن تطبيقها حرفياً وبعد آلاف السنين على المرأة في القاهرة بمصر فكل ما قاله بولس عن المرأة في كورنثوس وأفسس وغيرهما من آلاف السنين كان يخص المرأة في هذه البلد وفي ذلك الوقت من الزمان.

القضية الثانية: الاعتقاد بصمت المرأة أثناء العبادة الجمهورية:

المطالبة بالصمت كانت بهدف النظام والهدوء: أن الصمت الذي يطالب به الرسول بولس المرأة هنا هو صمت بقصد اللياقة والنظام والترتيب وليس صمتاً دائماً بقصد منعها من العبادة والتعليم والتسبيح للرب.

حديث بولس كان في ضوء حضارة سائدة: كانت مكانة النساء في العالم القديم منخفضة وكان الصمت هو الصفة الطيبة التي يجب أن تتحلى بها المرأة الفاضلة. وكانت النساء في اليونان يعشن حياة انعزالية محتجبة ماعدا النساء الفقيرات أو النساء الخليعات الفاجرات وكانت فكرة اليهود عن النساء أكثر انحطاطاً. وكان هدفه ألا يسمح لأي شيء يثير الشك بالنسبة إلى الكنيسة التي مازالت في المهد.

مراعاة بولس لخصوصية مدينة كورنثوس: علينا ونحن نفسر كلام بولس ونتفهمه بطريقة صحيحة في هذه الجزئية التي ينادي فيها بوضع ضوابط متشددة على المرأة في كنيسة كورنثوس ومنها الصمت أثناء العبادة أن نراعي خصوصية مدينة كورنثوس التي يحتمل أنها كانت أكثر بلاد العالم خلاعة ودعارة .

القضية الثالثة: الاعتقاد بأن المرأة لا يجب أن تعلم في الكنيسة:

موهبة التعليم في الكنيسة أعطيت للرجال والنساء معاً: لقد كان من أهم عطايا ومواهب الروح القدس للمؤمنين في الكنيسة موهبة التبشير والتعليم التي تهدف إلى تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح. والرسول بولس هنا يقول"وهو أعطى البعض" فكلمة البعض لا يمكن لأي

إنسان مهما كان لاهوتياً ضليعاً أن يجزم على الإطلاق أن المقصود بها الرجال فقط. ولكنها للرجال والنساء أيضاً فإذا كان الروح القدس يعطي المرأة عطايا لتخدم بها هل نمنعها نحن ونغلق الباب أمامها؟

طبيعة العصر تؤيد تعليم المرأة في الكنيسة: اهتم الرسول بولس قديماً بقضايا مثل غطاء الرأس للمرأة وقضية صمت المرأة أثناء العبادة في كنيسة كورنثوس. وقضية تعليم المرأة داخل كنيسة أفسس. إلا أن الكنيسة اليوم تواجه قضايا ومشكلات أكبر وأعمق وأهم لم يكتب عنها الكتاب المقدس. فما هو موقف الكنيسة منها؟ مثل قضايا مقاييس التطرف الديني، الهندسة الوراثية، نقل الأعضاء من جسد إنسان لإنسان آخر، هل تهمل الكنيسة هذه القضايا وتتجاهلها وهي قضايا هامة ومعاصرة وملحة وتفرض نفسها على الكنيسة. بالطبع لا يمكن تجاهلها أن بعض القضايا التي كتب عنها الرسول بولس كان لها وجود ملح منذ ألفي عام وأصبح هناك ما هو أهم منها اليوم ونحن لا نقصد أن نتجاهلها أو نهملها ولكن علينا أن نفهم إنها كانت ملحة في عصرها وموقعها، ونحن علينا أن نأخذ الدرس والعبرة منها ونتعلم المبدأ العام المستخلص منها ولا نطبقها بطريقة حرفية.

القضية الرابعة: الاعتقاد بخضوع سيادي من المرأة للرجل:

الخضوع يكون متبادلاً بين الرجل والمرأة: يقول نص الآية صريحاً:"خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله" والخضوع ليس مجرد واجب مفروض على المرأة من الرجل لكنه إشارة جميلة يتحلى بها جميع المؤمنين فيما بينهم.

المرأة في الإسلام

الهدف من الكتابة عن المرأة في الإسلام وخاصة في كتاب بعنوان"المرأة في المسيحية" هو الوصول إلى التعايش السلمي السعيد، وفهم كل منا للآخر، مع مراعاة احترام كل منا للآخر في عقيدته ودينه ومذهبه.

الإسلام والإيمان بمبدأ القوامة: يقول عمر القراي أن هذا المبدأ بحسب الفكر السلفي مؤسس على ما جاء في الآية القرآنية الواردة في سورة النساء34. وأن تفسير تلك الآية بحسب ما فسره ابن

كثير (الرجال قوامون على النساء): أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، ويزيد على ذلك جواز ضرب المرأة إذا نشزت أو خالفت أمر زوجها.

الإسلام والحقوق الاجتماعية في الزواج: إن معظم فقهاء السلفيين اتفقوا على حق المرأة في الزواج باختيارها إلا أنهم يرون أنه لم تعط المرأة نفس الحق كالرجال في الخروج من هذه الشراكة بالطلاق، فالطلاق في يد الرجل، وذلك لأمرين أحدهما: أن الشريعة قد كلفت الرجل بالإنفاق على المرأة وأولادها، وكلفته أن يبذل لها صداقاً، وثانيهما: أن المرأة مهما أوتيت من حكمة فإنها سريعة التأثر بطبيعتها، فإذا كان الطلاق بيدها تستعمله أسوأ استعمال.

الإسلام وإيمانه بتعدد الزوجات: ليس هناك أدنى شبهة يمكن أن ترد على إباحة تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية والأصل في ذلك قوله تعالى:"وأن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا" سورة النساء أية 30.

الإسلام والإيمان بالحجاب: يقول القراي فيما يخص أمر الحجاب:"ترى كاتباً إسلامياً معاصراً يزيد في عزل النساء عن الرجال فيحرم مجرد مصافحة المرأة، وقال أن البخاري روى عن عائشة أنها قالت:"كان النبي يبايع النساء بالكلام وما مست يد رسول الله يد امرأة إلا امرأة يملكها".

مهما يكن موقفنا من ضرورة اللباس المحتشم وضرورته للنساء وللرجال، يبدو أن في هذا الأمر كثيراً من المغالاة حيث تبدو المرأة وكأنها مجرد سلعة مغرية يجب الحذر منها. وبالطبع نعرف أن الكثيرات من المسلمات التقيات لا يرتدين الحجاب ولا يمكن التشكيك في ولائهن للإسلام.

الإسلام وحقوق المرأة القانونية: أما بشأن الحقوق القانونية للمرأة، تستخلص دراسة عمر القراي أن الفقهاء والمفكرين السلفيين اعتمدوا في إعطاء المرأة حقوقاً أقل من الرجل أمام القانون استناداً على الآية الكريمة:"واستشهدوا شاهدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الآخرى" سورة البقرة282.

الإسلام وحق الميراث للمرأة: أجمع الفقهاء الأوائل والعلماء المتآخرون على أن المرأة في الميراث يعطى لها نصف الرجل وهو حسب الآية:"يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ

الأنثيين" سورة النساء11. ويعاق القراي ويقول أن التبرير لإعطاء الرجل ضعف المرأة في الميراث لأنه هو المكلف بالإنفاق عليها.

حق المرأة في فكر الحركات الإسلامية: يتفق فكر الحركات الإسلامية الحديثة مع الفكر السلفي التقليدي على عدم المساواة بين الرجل والمرأة، ويتجه إلى تبرير هذا الوضع بدعوى جديدة لم يطرحها الفكر السلفي مما يؤكد الحاجة الماسة إلى الاجتهاد الذي يتجاوز هذا الوضع.

انشغل الفكر الإسلامي الحديث بقضية عمل المرأة ودورها الاقتصادي ومشاركتها في جوانب الحياة المختلفة الأمر الذي لم يجد حظاً وافياً في الفكر التقليدي ولعل السببهو الواقع الاقتصادي والتطور الذي حدث في المجتمعات.

المرأة الأم والزوجة والعاملة

المرأة في دور الأم: لا يوجد إنسان في الوجود ولد شاباً فتياً أو رجلاً كبيراً فكل منا قد ولد طفلاً رصيعاً ثم بدأ يكبر متدرجاً في مراحل حياته العمرية، ولأننا كلنا قد مررنا بمرحلة الطفولة نعرف جيداً دور الأم العظيم في حياتنا فمنذ اللحظة الأولى لتكوين الجنين في أحشائها والأم تغذيه بدمها ومنها يمتص قوته ويتغذى من لحمها ودمها وأعصابها، وتعاني بسببه الكثير من التعب والإرهاق والإعياء وهو جنين في بطنها ثم ينمو قليلاً على حساب صحتها وأعصابها وراحتها إلى أن تلده بالأوجاع وآلام المخاض، وبعد أن تلده ترضعه وتحمله وتربيه بكل الحنان والرقة والصبر، ويكبر بين يديها وتحت رعايتها ورقابتها جسدياً ونفسياً وعقلياً وعاطفياً كل هذا دون تنقطع عن الاهتمام به من يستطيع أن ينكر أثر الأم في حياة الطفل...؟ من يمكن أن ينكر على هذه الأم تعبها وجهادها ونضالها الذي لا يتوقف في سبيل طفلها؟

المرأة في دور الزوجة: يقول الأنبا غريغوريوس عن المرأة في دورها كزوجة:"هي دائماً إلى جانبه تسانده وتشجعه برقتها وحنانها ورعايتها على احتمال أعباء الحياة ومسئولياتها المتزايدة. وهي التي تحول بيته إلى جنة صغيرة يسكن فيها الرجل، كما يسكن إليها وبها ناعم البال، قرير العين. ولا نبالغ إذا قلنا أن الرجل يحتاج إلى المرأة كما يحتاج إليها الطفل وليس عبثاً ما يقوله البعض أن الرجل هو طفل المرأة الكبير.

الزوجة معين نظير زوجها: كلمة معين جاءت في الترجمة الإنجليزية بمعنى المساعد الذي يتناسب معه. فيكمل احتياجاته. وهنا نرى الزوج هو الذي يحتاج للإعانة والزوجة هي المعين فالزوجة نراها المعين وليس المعيق وكلمة نظير تعني من نفس النوع ومتساوية معه في القيمة.

الزوجة هدية وخير تاج لزوجها: يقول الوحي الإلهي بلسان الحكيم سليمان عن الزوجة باعتبارها هدية سماوية لزوجها :"أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب"أمثال14:19.

المرأة العاملة: هل من ضرورة لعمل المرأة؟

نعم هناك ضرورة ملحة لعمل المرأة حيث إن العمل يعطي المرأة قدرة أكبر وافقاً أوسع من جليسة البيت ويجعلها أكثر تفهماً لتقلبات الزمن وقدرة على تجاوزها كما أن الخروج إلى ميدان العمل هو مدرسة لاستكمال شخصيتها وتحسين مظهرها كما أنه يجعلها تعطي تقديراً أكبر لقيمة الوقت ولتحديد كلامنا هنا نحاول أن نضع أهمية عمل المرأة في النقاط التالية:

تدعيم الجانب الاقتصادي للأسرة، إحساس المرأة بكيانها، النضوج الفكري للمرأة.

المرأة الفاضلة وسماتها المتميزة

من هي المرأة الفاضلة؟ هي امرأة حسب قلب الله، يمكن الاعتماد عليها في كل الظروف وفي كل الطوارئ ولكل المهام الصعبة وإذ هي على درجة عالية من الكفاية والنشاط والإحساس بكرامة وأهمية خدمة البيت فإن قيمتها لا يمكن أن تقارن بقيمة اللآلئ مهما يكن قدرها عالياً. وكلمة فاضلة تعني أن هذه المرأة لا تكتفي فقط بتنفيذ ما عليها من واجبات نحو زوجها وأولادها لأنها إن فعلت ذلك فقط فأي فضل لها؟!

لكن الفضل هو أن تعمل المرأة فوق المطلوب منها حباً في إلهها وزوجها.

المرأة الفاضلة ثمنها يفوق اللآلئ: إن السعادة الحقيقية تعتمد على قرار واحد لا غنى عنه وهو قرار طاعة الله إن أرادت المرأة أن تصير جوهرة لابد لها أن تقبل عرض الله بالحياة الأبدية في الرب يسوع ومتى قبلت ذلك العرض فستتمتع بالسعادة والحرية الحقيقية بدرجة تتناسب مع مدى خضوعها للرب.

المرأة الفاضلة هي نموذج فقط للمرأة المثالية: تقول جين كرسن في مقدمة كتابها أفضلهن جميعاً أن امرأة الأمثال ليست شخصية حقيقية بل هي نموذج لشخص يمكن أن نقتدي به.

فإن مستوى هذه السيدة لا يمكن أن يكون في متناول الجميع لأن مواهبها غير عادية ومصادرها المادية كبيرة كما أنها لا تهتم كثيراً بالعلاقات الشخصية للزواج بل هي تظهر الازدهار الكامل في الأمور المنزلية التي تكشف عن كونها ليست أموراً تافهة أو ضعيفة المجال كما أنها ليست شخصية لا وزن لها فإننا نرى هنا مجالاً لقوى هائلة وإنجازات عظيمة.

المرأة الفاضلة تُطوب في الأرض والسماء: يذكر حكيم الأجيال المرأة الفاضلة ومكافآتها بالأتي: أنها تقدر من أولادها ولا شك أنهم يعتنون بها في شيخوختها، تنال رضى زوجها، تشتهر بتفوقها على بنات جنسها في الفضائل، تشتهر بتفوقها لا بجمالها، تحصد ما تزرع، يفوح أريج فضائلها في كل مكان ، وخاتمة المطاف تتويجها في المجد الأبدي مع زميلاتها العظيمات اللواتي عطرن التاريخ، ويكفي أن يعتبر الرب المرأة الفاضلة "تاجاً فوق رأس زوجها بقوله سيتوجها الرب بتاج من الكرامة الأبدية الفائقة!